المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٩٢/١٠/٢٨

مكتبة الحوار القومى

إعادة تقييم السادات

☐ الكتاب: إعادة الاعتبار للرئيس السادات
☐ المؤلف: الدكتور سعدالدين إبراهيم
☐ الناشر: دار الشروق ـ القاهرة (١٩٩٢)

لايشكل صدور هذا الكتاب بهذا العنوان مفاجاة كبرى، فقد بدأ المثقفون المصريون منذ بعض الوقت يعيدون النظر فى موقفهم من الرئيس الراحل أنورالسادات ومشروعه البديل لمشروع عبدالناصر على ضوء المستجدات فى الأوضاع العربية والدولية. ويبدو للمحلل المنصف ان السادات سبق عصره باكثر من ١٠ إلى ١٥ سنة، وان معظم ما دعا إليه، وكان يعتبر انحرافا عن الثوابت القومية، اصبح الآن أمرا مقبولا او مطلوبا كهدف.

ينطبق ذلك بشكل خاص على سياسة أنورالسادات تجاه الانفتاح الاقتصادى والتحول للقطاع الخاص والتخلى عن الاشتراكية، مما أصبح اليوم سياسة مقررة حتى فى البلدان التى كانت اشتراكية، سواء فى موطن الاشتراكية الأصلى أو فى بعض الدول العربية (التقدمية).

وينطبق أيضا على تخلى أنورالسادات عن نظام الحزب الواحد والحكم الشمولى، والتوجه ولو من حيث الشكل نحو الديمقراطية وتعدد المنابر ثم تعدد الاحزاب، مما أصبح اليوم توجها عالميا لاتستطيع أية قوة رجعية او محافظة أن تقف فى طريقه.

أما الانحياز إلى الغرب والادعاء بان أمريكا بالذات تملك ٩٩٪ من الأوراق، فقد اتضح انه من الناحية العملية اكثر جدوى من الانحياز إلى الشرق الذى اعترف بعجزه وتخلى عن قضيته وسلم لأمريكا بالوحدانية، بحيث تبدو الآن وكانها تملك كل الأوراق، ليس فى ساحة الشرق الأوسط والصراع العربى الإسرائيلى فقط بل فى العالم بأسره وفى أى صراع تختار امريكا ان تتدخل فيه إذا وجدت لها مصلحة فى ذلك.

وأخيرا فان الصلح مع إسرائيل الذى كان يعتبر خطيئة انورالسادات الأصلية فقد أصبح هدفا عربيا. وفى حين يطالب العرب، وعلى راسهم منظمة التحرير، بالمفاوضات المباشرة والجلوس مع الإسرائيليين وجها لوجه، اصبحت إسرائيل هى التى تتهرب من الحل السلمى، وهى التى تقاطع المنظمة وتحرم الاتصال بها، وتعوق تقدم المفاوضات وتحاول افشال الصلح.

كل هذا مفهوم كاتجاهات عامة، وان كان يرد عليه بعض التحفظات فى مجال التطبيق والممارسة العملية: فالانفتاح الاقتصادى رافقه الفساد والإثراء غير المشروع، والتعددية الحزبية ظلت شكلية عندما سمح الرئيس السادات لنفسه قبل شهر واحد من اغتياله باعتقال اكثر من الفى سياسى وشخصية يمثلون جميع قادة الحياة العامة فى مصر عدا النخبة الحاكمة. والانحياز للغرب كان رخيصا بدون ثمن وتحول إلى تبعية، كما ان الصلح مع إسرائيل كان انفراديا وبثمن باهظ مما سمح لإسرائيل بتشديد قبضتها على الأراضى العربية المحتلة التابعة للأردن وسوريا، واحتلال المزيد منها فى لبنان.

كتاب الدكتور سعدالدين إبراهيم «إعادة الاعتبار إلى الرئيس السادات» يقول هذا فى ١٨ صفحة تقع فى نهاية الكتاب، اما الجزء الغالب من الكتاب فهو إعادة إنتاج مقالات منشورة حول عهد السادات ومقارنته مع عهد عبدالناصر، مر على نشرها بين ١٠ إلى ١٥ عاما، ولاتخدم إعادة نشرها الآن قضية إعادة تقييم السادات، بل انها اقرب إلى إعادة تقييم فكر المؤلف نفسه الذى يقول صراحة: «ان الحكمة من إعادة نشر هذه الآراء والاجتهادات هى ان يكون القارئ على بيّنة من تطور فكر المؤلف تجاه السياسات العامة لنظام الرئيس السادات فى لحظات زمنية متتابعة». ص (١٣٧)

وقد خصص المؤلف الثلث الأول من الكتاب لسرد مذكراته عن مقابلة له مع السادات وزوجته جيهان، ليس لها فائدة من حيث (إعادة) تقييم السادات، بل ان المؤلف، مثل معظم كتاب المذكرات السياسية ظهر فيها بشكل ابرز من الرئيس نفسه. وقد اتبع المؤلف فى سرده لوقائع هذا اللقاء (العائلى) أسلوب الروائى. اقرا مثلا «تذكرت على الفور ماقصدته حرم الرئيس، وخبطت جبينى بكفى، وتملكنى الخجل، وقلت: آه تذكرت هل هذه الحادثة وصلت ايضا؟ فأجابت بابتسامة عريضة: طبعا». ص (٤٨).

وبعد، فمما لاشك فيه ان المرحوم انورالسادات كان رجل دولة من الطراز الأول، له مواقف خلافية مثيرة للجدل، ومن حقه أن يعاد تقييمه بعد مرور عقد من الزمان على اغتياله، وهذه مهمة كبيرة تستحق اكثر من إعادة نشر مذكرات قديمة حول لقاء خاص مع السادات، أو مقالات نشرت فى «الاهرام»، «والاهرام الاقتصادى» قبل عام ١٩٨٢، وربما كانت تحتاج إلى جهد جماعى تتعدد فيه الاختصاصات والآراء □

د. فهد الفانك